

تجليات السخرية وأساليبها في نهج البلاغة

الخطب المائة الأولى أنموذجا

سيد مهدي مسبوق*

رسول فتحي مظفري**

الملخص

تحتوي السخرية في الأدب على توليفة من النقد والهجاء والتهكم والدعابة يستخدمها الأديب للتعبير عن القضايا التي تدعو إلى الانتقاد في المجتمعات بلغة ساخرة مليئة بالضحك والدعابة. هذا الفن من الأدب هو مرآة سحرية تنعكس عليها الحقائق المرة في المجتمع بصورة عذبة تجذب قلوب المخاطبين، وتضحكهم أولا وتحتّمهم على التفكير والتدبر والاعتبار ثانيا. إذا تصفّحنا خطب نهج البلاغة رأينا فيها أسلوبا ساخرا معجبا يسترعي انتباه القارئ. يشهد التاريخ أنّ الحياة السياسية للإمام علي (ع) كانت مفعمة بالأحداث السياسية التي تطرق إليها أمير المؤمنين (ع) ضمن خطبه بصورة موجزة مثيرة. إنّ هذه الدراسة بالاعتماد على المنهج الوصفي والتحليلي هدفت إلى إبراز السخرية في المائة الأولى من خطب نهج البلاغة وكيفية تصويرها وصياغتها من الناحية البيانية الأدبية وتبيين أهمّ ميزات وأساليبها. خلصت الدراسة إلى أنّ الإمام (ع) وظّف أنماط السخرية وأساليبها لإسباغ الطرافة على بعض ما يسرده وللتعبير عن واقع المجتمع ودعوة

* أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بوعلبي سينا، همدان (الكاتب المسؤول)

smm.basu@yahoo.com

** طالب الدكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة بوعلبي سينا، همدان، fathirasoul65@gmail.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٥/٢/١٨، تاريخ القبول: ١٣٩٥/٤/٢٠

المخاطب إلى التأمل والتروي ولم يعمد إلى التجريح والإهانة في صوره الساخرة وهذه الأساليب تلعب دوراً بارزاً في إقناع المخاطب وحثه على الخضوع للحق والصدود عن الباطل.

الكلمات الرئيسية: السخرية، خطب نهج البلاغة، البلاغة، الصورة الساخرة.

١. المقدمة

لما كان الهجاء فناً قديماً في الأدب العربي، أصبحت السخرية لونا من ألوان الهجاء، فهي من أمضّ الأساليب وأشدّ إيلاماً من أن يهجو المهجو بالكلمات النابية والظعن بالأنساب واللعن والتصريح بالعاهات. في الواقع أنّ السخرية سلاح يتخذه المبدعون لقهر واقعهم المرير، ويصورون به هذا الواقع، وينقدونه من خلال ضحكة مغموسة بألم المعاناة، ويحاولون من خلاله أن يغيروا واقع أمتهم ويصلحوا مجتمعاتهم. يقول الدكتور محمد حسين عنها:

كانت السخرية فيما سبق. قبل الجاحظ. تأتي عفوية تارة، ومقصودة لغرض من الأغراض السياسية تارة أخرى دون أن تقوم بالتفاصيل النابضة بالحياة تحليلاً، وتصويراً، وتشخيصاً، واستنباطاً لدخائل النفوس، وإبرازاً لخصائص المجتمع. ومن هنا كان الجاحظ أول مؤلف في تاريخ الأدب يخص كتباً بأكملها في السخرية تحليلاً ودراسة، كما فعل في كتابه البخلاء، ورسالته الترييع والتدوير (محمد حسين، ١٩٧٧: ٨٧).

فالسخرية تجسد المعاناة والآلام الاجتماعية والسياسية بلسان هازل فكاهي، فتجمع بين الجد والهزل وترتك في النفوس انطباعات قوية وتؤثر في القلوب تأثيراً عميقاً، حتى إنّها أشدّ تأثيراً من الهجاء البحت. يتناول هذا البحث السخرية باعتبارها ظاهرة أدبية عرفت في الأدب منذ القدم، وقد اتخذنا المائة الأولى من خطب نهج البلاغة موضوعاً لدراسة أساليب السخرية ووظيفتها فيها. لما كانت الحياة السياسية للإمام علي بن أبي طالب (ع) مليئة بأعداء الكوفيين وتحاذل أنصاره وتواكلهم في الجهاد وبالتالي انهزام جيش الإسلام فنرى خطباً جمّة يلوم فيها الأمام أصحابه ويخاطبهم بلغة ساخرة وصور فكاهية. أهمّ أساليب السخرية في هذه الخطب تنطوي على أشكال التشبيه والاستفهام والاقْتباس والتضمين حيث إذا أمعنا النظر في الخطب التي يذم فيها الإمام علي (ع)

أصحابه البصريين أو الكوفيين، رأينا أساليب فنية وصور بلاغية ساخرة تنطق عن حدّة الآلام التي واجهها فاتح الخير.

من الأسباب التي دعتنا إلى اختيار هذا الموضوع أننا لم نجد في الباحثين من يتناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة من الناحية البيانية على الرغم من أهميته وطرافته وتنوع أساليبه في نوح البلاغة فمن ثم قد اعترزنا أن ندرس هذا الموضوع دراسة تحليلية بيانية وقد شفّعنا بحثنا بأشكال التصاوير الساخرة وأساليبها البلاغية في المائة الأولى من خطب نوح البلاغة. ويجدر بالذكر أنّ هذه الخطب تضم في طياتها الكثير من العبارات التي تتميز بأساليب السخرية ولكنّا قد اكتفينا بالنماذج التي تساعدنا في التعرف إلى أنماط هذه السخريات وأساليبها.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن نعتد على المنهج الوصفي والتحليلي حيث قمنا باستقراء وجمع نماذج من السخرية في خطب نوح البلاغة وتناولنا النماذج بالوصف والتحليل ومن جراء ذلك حاولنا أن نجيب على الأسئلة التالية:

١. ما هي مكانة السخرية في نوح البلاغة وما هو دورها في إقناع المتلقي؟

٢. ما هي الأساليب التي استعملها الإمام (ع) في تصاويره الساخرة في المائة الأولى من خطب نوح البلاغة؟

٣. أي فنّ من الفنون البلاغية يشغل مساحة كبرى في هذه الخطب؟

٢. خلفية البحث

قد ألفت دراسات وكتب شتّى حول السخرية وأساليبها وتحدثت عن أنماط السخرية ووقعها في المخاطب وإقناعه وإثارة عقله وتفكيره منها كتاب أسلوب السخرية في القرآن الكريم بقلم عبدالحليم حفني الذي تناول فيه أسلوب السخرية في القرآن الكريم وتوقف عند بيان الإعجاز البلاغي القرآني في توظيف أسلوب السخرية كنوع من أنواع الهجاء أو نوع مماثل للهجاء وأشار إلى تعريف السخرية ومصادرها ودواعي السخرية في القرآن الكريم. وقد ركّز الكتاب على عدد من المباحث وهي السخرية والحرب النفسية، وطابع سخرية القرآن، والسخرية والبيئة، والسخرية الاجتماعية، والسخرية والقيادات، والسخرية واليهود، والسخرية والمنافقون،

والسخرية والهجاء محتتما بمناقشة سخرية القرآن والتحليل النفسي وسخرية القرآن ووحى الألفاظ. وللكتاب نفسه كتاب آخر معنون بـ «التصوير الساخر في القرآن الكريم استعرض فيه معاني السخرية في القرآن الكريم وكيفية تصويرها وصياغتها من الناحية البيانية الأدبية. وكتاب السخرية في الأدب العربي الحديث لعبد الستار سها وكتاب فن الهجاء وتطورون عند العرب لإيليا الحاوي.

وهناك عدة رسائل جامعية قامت بدراسة أساليب السخرية في الأدب العربي والتي تساعدنا في التعرف إلى كيفية استعمالها عند الأدباء العرب. منها رسالة «أساليب السخرية في البلاغة العربية؛ دراسة تحليلية تطبيقية» بقلم شعيب بن أحمد الغزالي الذي ناقشها في جامعة أم القرى. تجمع هذه الرسالة بين دفتيها أهم أساليب السخرية وأشيعها في الأدب ولاسيما السخرية في بلاغة القرآن. وهناك رسالة أخرى معنونة بـ «السخرية وتحليلاتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة» نوقشت في جامعة مولود معمري تيزي وزو. تحدث الباحث في هذه الرسالة عن أنماط السخرية وأساليبها في القصص القصيرة الجزائرية. ولكن لم نجد دراسة تستعرض أساليب السخرية وصورها في خطب نهج البلاغة فمن ثم تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها أول دراسة ركزت على أساليب السخرية وتصاويرها في خطب نهج البلاغة.

٣. السخرية لغة واصطلاحاً

السخرية لغة: من سَخِرَ، نقول سَخِرَ منه وبه سَخِرًا وسُخِرًا ومَسَخِرًا وسُخِرًا بالضم، وسُخِرَةً وسِخِرًا وسُخِرًا وسخرية أي هزء به (ابن منظور، د.ت: مادة «سخر»). وقيل: السُّخْرِي، بالضم، من التسخير والسُّخْرِي، بالكسر، من الهزء، وقد يقال في الهزء: سُخِرِي وسُخِرِي وأما من السُّخْرَةِ في الضم ويظهر الاسم بتشديد الياء أو بتخفيفها: «سُخِرَ: سُخِرِيَّةً، و سُخِرِيَّةً» (مصطفى والآخرون، ١٩٧٢: ج ١، ٤٢١).

والسخرية اصطلاحاً هي نوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثقافي الذي يقوم على أساس انتقاء الرذائل والحماقات والنقائص الإنسانية فردية كانت أم جماعية وكأنها عملية رصد أو مراقبة لها وتكون في أساليب خاصة منها التهكم والهزل أو الإضحاك، كل ذلك في سبيل

التخلص من خصال وخصائص سلبية (عبد الحميد، ٢٠٠٣: ٥٧). ينقل الألووسي عن القرطبي قوله:

السخرية: الاستحقار والاستهانة والتنبية على العيوب والنقائص بوجه يضحك منه وقد تكون بالمحاكات بالفعل والقول أو الإشارة أو الإيماء أو الضحك على كلام المسخور منه إذا تخبط فيه أو غلط على صنعته أو قبح صورته (الووسي، ١٤٠٥: ج ٢٦، ١٥٢).

في القرآن الكريم وردت سَخِرَ بمعنى الاستهزاء خمس عشرة مرة (عبد الباقي، ١٩٨٧: ٣٤٧)، بعشر مشتقات تغلب عليها صيغة المضارعة، وكأنها تشير إلى الأثر المستمر للسخرية مستقبلا في تأثيرها النفسي، والاجتماعي، وقد أسندها الله سبحانه وتعالى إلى نفسه في عدة آيات وهذا يعطي الإباحة على إطلاقها في إطار الخدمة العامة والتوجيه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الهوال، ١٩٨٢: ١١).

والسخرية نوع من الهجاء ولكنها تختلف عنه، فالهجاء صادر عن نفس غاضبة تهدف إلى التحريج والتشهير والانتقاص والمبالغة في التعدي وليست السخرية كذلك في أغلب الأحيان (المعاملي، ١٩٨٧: ١١). والعلاقة بين السخر والهجاء كالعلاقة بين الأجزاء والكل، إذ السخرية لم تكن يوما غرضا شعريا مستقلا عن الهجاء وإنما هي أسلوب في الأداء الهجائي تطور بتطور الهجاء لأنها أداة من أدواته وجزء منه، وليس من المبرر أن نجعلها غرضا مستقلا، فكما سلك الشعراء إلى هجاء المظاهر السياسية والاجتماعية والشخصية أسلوبا جادا فإنهم سلكوا إلى هجاء هذه المظاهر أسلوبا هازلا متفكها ساخرا (التميمي، د.ت: ٣٥٧).

٤. وظيفة السخرية

يعدّ بعض الباحثين السخرية سلاحا شائعا عند كبار المؤلفين ويستمد الخطباء منها النبرات المؤثرة، وكذلك تتخذ البلاغة منها سلاحا أشد فتكا لا يمكن إغفاله أو الاستهانة به (طه، ١٩٧٨: ١٤) وقد ظهرت السخرية في شعر الملاحم، والتراجيديا، والكوميديا؛ بل عرفت منذ القدم وبعد أن أدرك الإنسان حاسة النقد عنده، وعرف عيوب عدوه، فظهرت

عنده نزعة المزاح والبحث، وامتألت الآداب القديمة على اختلافها بألوان متنوعة من السخرية (عبدالحافظ، ١٩٩٨: المقدمة). فالسخرية فن لا يجيده إلا الأذكياء البارعون في التعبير عن الكلمة بحذق ولباقة وذكاء، بينما المهجاء الخالص لا يعوزه التركيز على الكلمات أو اختيار المعاني الناعمة الجارحة في آن واحد كما هو الحال في السخرية. يمكن تلخيص الأسباب العامة للسخرية في النقاط التالية:

١. التخفيف من الآلام التي يعاني منها الناس بتأثير الواقع ومشاكل الحياة اليومية التي يشكل تجمعها حالة سلبية، لا بد من تفرغها بأسلوب التعويض أو التنفيس؛
 ٢. النقد والإصلاح الاجتماعي للمؤسسات والأفراد، لتصحيح الأخطاء الخارجة عن قيم المجتمع الفكرية والثقافية؛
 ٣. توحيد الرؤية بين الأفراد في المواقف الصعبة والمنعطفات الخطيرة نحو أيّ عدو خارجي أو داخلي؛
 ٤. المساهمة في رفع الروح المعنوية والثقة بالنفس بالاستعلاء على الخوف والقلق والمواقف المحرجة والشعور بالتفوق والقدرة على الانتصار وتشكيك العدو في نفسه ومواقفه، فيما يسمى بالحرب النفسية؛
 ٥. التحرر ولو مؤقتا من محاصرة القوة الطاغية والسلطة الأكبر أو من سيطرة القوانين الجائرة والتفكير الجامد، فيشعرون بأنهم ليسوا ضعفاء، وأنهم يملكون قوة وحيوية وثباتا وكيانا شخصيا لا يمكن أن تطمسه القوة الأكبر (الضمور، ٢٠٠٥: ١٢).
- لقد حاول أدلر الفيلسوف أن يحلل دواعي السخرية، فقال: إنها مركبة من غرائز ثلاث: الغضب، والانتقام والخضوع، ثم قال بعد هذا، ولست مقتنعا إلى اليوم بأيّ تعريف لها فيما قرأته إلى الآن (طه، ١٩٧٨: ١٥).
- بعد هذه الجولة القصيرة في التعاريف الواردة حول السخرية وشخصية الساخر، يتضح لنا أن السخرية فن أصيل وإن لم تنفرد بكتاب إلا أنها تكاد تكون ظاهرة واسعة مبثوثة في كثير من كتب الأدب وفي معظم أبواب البلاغة بمختلف فنونها، وهذا ما دعانا إلى الوقوف على تجليات السخرية وأساليبها في خطب نصح البلاغة.

٥. أساليب السخرية في علم المعاني

إنَّ أول من سمى علم المعاني بهذه التسمية هو عبدالقاهر الجرجاني في كتابه *دلائل الإعجاز* وهذا الكتاب في الأصل محاولة من عبدالقاهر استهدف بها إثبات إعجاز القرآن الكريم وقد بين المراد من هذا العلم بائتلاف الألفاظ ووضعها في الجملة الموضع الذي يفرضه معناها النحوي. وإذا ما انتقلنا إلى السكاكي، فعلم المعاني عنده: هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره (غرة، ٢٠١٤: ١٨). أما القزويني فقد عرفه بقوله: إنَّه العلم الذي تعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال (الخطيب القزويني، ١٤٢٤: ٨٤).

كلّ هذه التعاريف تكشف لنا عن طبيعة علم المعاني ووظيفته في التعبير عن الفكر تعبيراً يلائم أحوال المخاطبين وقدراتهم في الفهم ومدى ما يكون لديهم من الاستعداد لتقبل الفكرة التي يراد أدائها. ولما كانت أحوال المسند والمسند إليه من المباحث الهامة في علم المعاني نتحدث هنا عن أساليب التعريف الساخر لأيّ من المسند والمسند إليه لنرى كيفية تذييل المعرف وتحقيره من خلال علم المعاني.

١.٥ التعريف

قد يأتي المسند إليه نكرة وقد يأتي معرفة ولكلّ منهما مقام يستدعيه سياق يقتضيه وكلّ منهما له مقامات لا تليق بالآخر (زركشي، د.ت: ج ٤، ٨٧). والمعرفة هي ما دلّ على شئ بعينه وهي ستّ: المضمرة والأعلام، أسماء الإشارة، والاسم الموصول، ثم المعرف باللام، ثم المضاف إلى واحد من هذه المعارف وهذه المعارف تتعلق بكلّ واحد منها معان دقيقة متعلقة بأسرار البلاغة (العلوي اليميني، ١٤٠٢: ج ٢، ١١).

هذا هو الغرض العام من تعريف المسند إليه وهو أن يفيد المتكلم للمخاطب الحكم إفادة تامة ثم إنَّ لكلّ من أنواع التعريف أغراضاً وأسراراً. قد يقصد المتكلم من تعريف المسند إليه إيقاع التهكم والسخرية بالشخص المعين، إما بإهانتته وتحقيره، أو رميه بالبلادة والغفلة والغباوة

والخساسة، وضعة المنزلة، أو أن ذلك البعيد أو القريب المحتقر المهان فيجعل البعد ذريعة للإهانة والقرب كذلك. فإذا اقتضى المقام تعريف المسند إليه بأحد أنواع المعارف كالعلمية، أو الموصولية، أو الإشارة، أو الإضافة، فإنه ربما يقصد بهذا التعريف السخرية والتهمك حيث إنَّ التعريف تخصيص وتعيين وتقوية للمعنى فإنَّ السخرية هنا تكون واضحة قوية جلية (الغزالي، ١٤١٤: ٥٠-٥١).

١.١.٥ التعريف بالعلمية

قد يعرف المسند إليه بالعلمية لأغراض وأهداف مختلفة منها قصد الإهانة وذلك إذا استحق العلم مذمة أو إهانة، اسما كان أو كنية أو لقبا. وذلك إذا كان العلم اسما قبيحا مذموما، أو منقولا عن معنى خسيس، ككلب وخنزير ونحوهما، أو أن مسماه اشتهر بصفة مذمومة كبعض الأسماء التي اشتهرت بصفات مذمومة كمدار، اسم شخص وتيم وباهلة اسمي قبيلتين، أو كان كنية أو لقبا مشعرا بالذم (المصدر نفسه: ٥١). من هذا المنطلق نرى أمثلة شهيرة تدلُّ على معنى السخرية كقوله تعالى: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ» (المسد: ١) والذي يقول الزمخشري عن هذه الكنية: «ذلك أن هذه الكنية وافقت حاله، إذ إن مآله إلى نار ذات لهب، كما يقال للشير أبو الشر أو أنه أريد تشهيره بالسوء، وأن تبقى سمة له وقيل كني بذلك لتلهب وجنيته وتوقدهما» (الزمخشري، د.ت: ج ٤، ٢٤٠-٢٤١).

إذا أمعنا النظر في خطب نهج البلاغة، رأينا أن أسلوب التعريف الساخر أدَّى دورا بارزا في الذم والإهانة وربما كانت المناداة بالألقاب من أهم أساليب السخرية وأقدمها ولما كان لهذه الألقاب وقع على النفوس وقوة في التأثير نشير إلى كيفية استعمالها في خطب نهج البلاغة.

يصف الإمام علي (ع) عمرو بن العاص في كلام موجز ويستخدم الكنية التي تؤدي إلى تشهير ابن العاص في قوله: «عَجَبًا لِإِبْنِ النَّابِغَةِ يَزُحُّمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِي دُعَابَةٍ وَأَيُّ امْرُؤٍ تَلْعَابَةٌ» (خطبة: ٨٤).

إن النابغة هي أم عمرو بن العاص سميت بما لظهورها شهرتها بالغي، وهي مأخوذة من نبغ الشيء نبوغا أي ظهر وإنما كنى عنه بأمه إذ من عادة العرب النسبة إلى الأم إذا كانت

سيدمهدى مسبوق و رسول فتحى مظفرى ١٠٣

مشهورة بالخسة والدنائة يريدون بذلك ذمه والقدح فيه، وقد ينسبونه إليها إذا كانت معروفة بالشرف يريدون بذلك شرفه ومدحه (هاشمى خوئى، ١٣٥٨: ج ٨، ٧٢٣).

كانت أم عمرو بن العاص النابغة أمة رجل من عنزة، فسببت فاشتراها عبدالله بن جدعان التيمي بمكة فكانت بغيا ثم أعتقها، فوقع عليها أبوهب بن عبدالمطلب، وأمىة بن خلف الجمحي، وهشام بن المغيرة المخزومي، وأبو سفيان بن حرب، والعاص بن وائل السهمي في ظهر واحد! فولدت عمراً، فادعاه كلهم فحُكِّمَتْ فيه أمه فقالت: هو من العاص بن وائل، وذلك لأنّ العاص بن الوائل كان ينفق عليها (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ج ٦، ٢٨٤). نرى أن أميرالمومنين (ع) قد استعمل في هذا الكلام كنية (ابن النابغة) بدلا عن عمرو بن العاص ليذكر القارئ أنّ الهدف من هذا التعريف، هو السخرية منه بالكناية.

وفي موضع آخر يخاطب الإمام (ع) الأشعث بن قيس بقوله: «عليك لعنة الله ولعنة اللّاعنين، حائكُ ابنِ حائك» (خطبة: ١٩).

يقول ابن هيثم في موضع تحليل هذه العبارة: أما قوله حائك بن حائك، فقد أشار به الإمام إلى نقصان عقله وقلة استعداده لوضع الأشياء في مواضعها والتأكيد على عدم جدارته للاعتراض عليه إذ الحياكة مظنة نقصان العقل وذلك لأن ذهن الحائك عامة موجه إلى صنعته وهو مصبوب الفكر إلى أوضاع الخيوط المتفرقة وبالجملة فالشاهد له أنّه مشغول الفكر عما وراء ما هو فيه فهو أبله فيما عداه (ابن ميثم، ١٣٦٢: ج ١، ٣٢٤).

٢.١.٥ التعريف بالإشارة

يقول عنه الجاحظ: «مبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت، والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط» (جاحظ، ١٤٠٥: ج ١، ٧٨) ونقل الألويسي في تفسيره عن القرطبي تعريفه بأساليب السخرية: «أنها قد تكون بالحاكات بالفعل أو القول أو الإشارة أو الإيماء أو الضحك على كلام المسخور منه» (الوسي، ١٤٠٥: ج ٢٦، ١٥٢).

يأتي المسند إليه اسم إشارة لأغراض بلاغية عدة، منها التهكم والسخرية من المشار إليه وإلحاق الذل والهوان والحقارة به، أو رميه بصفات النقص والبلادة والغباوة ومنها بيان حاله

في القرب، أو البعد، أو التوسط. ثم يذكر البلاغيون أنّ هذه الأبعاد الحسية المكانية ربما استخدمت للدلالة على معانٍ شعورية وذلك لأسرار بلاغية معروفة وأغراض بيانية مقصودة ومن ذلك قصد التحقير والسخرية فيعرف المسند إليه بالإشارة للقريب تنزيلا لدنو منزلته وانحطاط مرتبته منزلة قرب المسافة وقد يكون مع التحقير السخرية والتهكم، فالمقام يحتمله بل يقتضيه في كثير من الأحوال وذلك بحسب دلالة السياق وقرائن الأحوال (الغزالي، ١٤١٤: ٥٦-٥٧).

من المواضع التي جاء فيها اسم إشارة القريب للسخرية، هذه العبارة التي يشكو فيها الإمام (ع) من شورى الخلافة بعد رحيل النبي الأكرم (ص): «فَيَاللَّهِ وَلِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ» (خطبة: ٣).
قد أشار الإمام (ع) هنا باسم إشارة القريب إلى تحقير الذين ظنوا أنفسهم من أقران الإمام في الدرجة ونظرائه في مقام الخلافة مع كونهم أدنى مرتبة منه وأخس منزلة فكيف يقيسون أنفسهم به. فهذا المعنى لن يحصل إلا بالتذوق والعناية بسياق الحال والمقال، فإذا تأملنا في السياق الذي وقع فيه اسم الإشارة، رأينا أنه يهدينا إلى الوجه الساخر الممكن في اسم الإشارة.

وقد يعتمد المتكلم على أوصاف المشار إليه للتعبير عن الهزء والسخرية كقوله: «أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَشُعْفِ الْأَسْتَارِ نُطْقَةً دِفَاقًا» (خطبة: ٨٣).
إن اسم إشارة القريب في هذه الخطبة، يدل على ضعف الإنسان وتفاهته لئلا يرى نفسه متغطرسا مرحا فالتأمل في كيفية خلقه يحول دون احتياله.

٣.١.٥ التعريف بالإضافة

إنّ الإضافة أوجز طريق لإحضار المسند إليه في ذهن السامع وذلك متى لم يكن للمتكلم سبيل إلى إحضار المسند إليه في ذهن السامع سوى الإضافة (السكاكي، ١٤٠٣: ١٨٦).
ولتعريف المسند إليه بالإضافة معانٍ أخرى وأغراض شتى تفهم من السياق فمن هذه المعاني أن تتضمن الإضافة الاستهزاء وتوبيخ المخاطب والتهكم. نحو قوله تعالى على لسان فرعون يجادل موسى (ع) ويسخر منه ويتهكم به ويرميه بالجنون (الغزالي، ١٤١٤: ٦٠). قال الله

تعالى في كتابه العزيز: «قال إنّ رسولكم الذي أرسل إليكم مجنون» (الشعراء: ٢٧). نرى في هذه الآية أنّ الفرعون سمّى موسى رسولا على سبيل الهزاء والسخرية فضلا عن استهزاء المضاف، فيه سخرية من ضمير «كم» وإهانة للمخاطب المضاف إليه لصلته الوثيقة بالمضاف وارتباطه معه.

قد تفيد الإضافة التحقير والاستهزاء بالمضاف إذا قصد التشهير به على الملأ والسخرية منه وقد تفيد التحقير والازدراء بالمضاف إليه. فهنا نورد أمثلة من التعريف بالإضافة في خطب نهج البلاغة لنستشف كيفية توظيفها وأنماط السخرية فيها. يصف الإمام (ع) سلوك البصريين ويهجوهم في قوله: «أَرْضُكُمْ قَرِيْبَةٌ مِنَ الْمَاءِ، بَعِيْدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ، وَسَفِهَتْ حُلُوْمُكُمْ» (خطبة: ١٤).

قد أضيفت هنا العقول والحلوم إلى ضمير المخاطبين وخفة عقولهم وسفاهة حلومهم تكشفان عن سفه المخاطبين على وجه ساخر وذلك لأنّ إضافة شيء إلى شيء آخر تدلّ على مصاحبتهما وإذا كانت العقول والأحلام سفية، فأصحاب هذه العقول تستحقّ أن تتعرض لأسهم السخرية كما يقول خوئي في معرض دراسته لهذا القول: «وأما قوله: خفّت عقولكم وسفّهت حلومكم وصف لهم بقلّة العقل والسفاهة الموجبة لانحطاط الرتبة والدرجة في العقائد الدينية والعبادات البدنية وإشارة إلى قلّة استعدادهم لدرك وجوه المصالح الواقعية كما يشهد به متابعتهم للمرأة وإحابتهم للبهيمة، وتنبيه على جهالتهم وعدم تفكيرهم في عواقب الأمور وغفلتهم عن إصلاح أحوالهم وعلى تسرعهم إلى ما لا ينبغي ولأجل ذلك حسن التفريع» (هاشمي خوئي، ١٣٥٨: ٣١٧).

هذه السخرية تشتد إذا تابعت الإضافات المقدّعة كما نرى في قوله: «كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيْمَةِ رَعَا فَأَجَبْتُمْ، وَعُقِرَ فَهَرَيْتُمْ، أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ وَعَهْدُكُمْ شَقَاقٌ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ رُعَاقٌ» (خطبة: ١٣).

نجد في هذا الكلام ست إضافات تدلّ على السخرية ولاسيما قوله جند المرأة وأتباع البهيمة اللتين تعدان شيئا وعارا على المخاطب الذي يرى نفسه من أنصار امرأة و أتباع بهيمة فضلا عن ذلك يذمّ الإمام (ع) أخلاق أهل البصرة وعهودهم ودينهم.

٤.١.٥ التعريف بالموصول

يقول عبدالقاهر في بيان أهمية الصلة وما فيها من أسرار: «إعلم أن لك في (الذي) علما كثيرا وأسرارا جمة وخفايا إذا بحثت عنها وتصورتها اطلعت على فوائد تؤنس النفس وتثلج الصدر بما يفضي بك إليه من يقين ويؤديه إليك من حسن التبيين» (الجرجاني، ١٤١٠: ١٩٩) والحالة التي تقتضي كون المسند إليه موصولا هي متى صحَّ إحضاره في ذهن السامع بواسطة ذكر جملة معلومة الانتساب إلى مشار إليه و تصل بإحضاره بهذا الوجه غرض (السكاكي، ١٤٠٣: ١٨١). قد يريد المتكلم أن يخبر السامع نوع الخبر قبل مجيئه، فيعمد إلى تعريف المسند إليه بالموصول، لتحصل له تلك الإشارة إلى نوع الخبر ومضمونه وذلك لما كان في الصلة ما يشعر بذلك ثم إن هذا الإيماء ربما جعل ذريعة ووسيلة إلى الإهانة لشأن الخبر، نحو قولك تعريضا بإهانة شخص وسخرية من تصديه لما لا يحسن: إن الذي لا يحسن الحديث ألقى خطبة والذي لا يتذوق الجمال ألف في البلاغة والذي لا يعرف الفقه قد صنف فيه (تفتازاني، ١٣٣٠: ٧٥-٧٧).

في هذا المنطلق يشير الإمام علي (ع) إلى أسباب هزيمة أهل الكوفة مستخدما الموصول الساخر في قوله: «المَغْرُورُ وَاللَّهُ مِنْ عَزْرَتُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ» (خطبة: ٢٩).

ذمَّ الإمام (ع) من اغتر بكلامهم ونسبه إلى الغرور والغفلة ثم بالإخبار عن سوء حال من كانوا حزبه ومن يقاتل بهم:

أما الأول: فهو قوله: المغرور والله... والمقصود بالحقيقة ذمهم وتوبيخهم على خلف المواعيد والمماطلة بالنفار إلى الحرب لأنه إنما ينسب من وثق بهم إلى الغرور بعد خلف وعدمهم له بالنهوض معه وأما الثاني فهو قوله: من فاز بكم... قد شبه نفسه وخصومه باللاعبين بالميسر لاحظ شبه حصولهم في حقه بخروج أحد السهام الخائبة التي لاغتم لها أو الأوغاد التي فيها غرم كالثي لم يخرج حتى استوفيت أجزاء الجزور فحصل صاحبها غرم وخيبة (ابن ميثم، ١٣٦٢: ج ٢، ٥٢).

نرى في هذه العبارة أن الإمام (ع) وصفهم بالغرور استهزاء بهم وشبه الفائز بهم بمن يفوز بسهم حائب ودليل التهكم قوله «فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ» وقوله «فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ».

٢.٥ الاستفهام

الاستفهام عند المتأخرين هو: «طلب حصول صورة الشيء في الذهن» (ابن ناظم، د.ت: ٨٣).
والاستفهام البلاغي لا يقتصر على الطلب، وإنما يتجاوز إلى التعبير عما في النفس من معان:

وهذه المعاني لا يكشف عنها ولا يدل عليها نوع أداة الاستفهام فحسب ولا نوع ألفاظ الجملة وطريقة تركيبها فقط ولا رؤية المستفهم وحدها، بل كل ذلك وغيره يشارك في الكشف عن دلالة هذه الجملة ووجه دلالة الاستفهام على هذه المعاني تعددت فيه آراء العلماء، فقيل إنه من قبيل المجاز المرسل وقيل إنه كناية (الدسوقي، د.ت: ج ٢، ٢٩٣).

والمعاني التي تفيدها أدوات الاستفهام كثيرة لا يمكن الإحاطة بها وقد عد منها القزويني: الاستبطاء والتعجب، والتنبيه على الضلال، والوعيد، والأمر، والتقدير، والإنكار، والتهكم، والتحقير، والتوبيخ والتعجب (الخطيب القزويني، ١٤٢٤: ج ٢، ٢٩٠).

إنّ الإنكار من معاني الاستفهام التي تأتي منها السخرية، وهو استفهامك أمرا تنكره (فيروزآبادي، ١٤٠٧: مادة «نكر»). والتفسير البلاغي للإنكار فصله عبدالقاهر بعد تحليله لأمثلة من الإنكار بقوله:

واعلم أنا وإن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار فإن الذي هو محض المعنى: أنه لتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالجاب، إما لأنه قد ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه فإذا ثبت على دعواه قيل له: فافعل، فيفضحه ذلك وإما لأنه همّ بأن يفعل ما لا يستصوب فعله، فإذا روجع فيه تنبه وعرف الخطأ، وإما لأنه جوز وجود أمر لا يوجد مثله، فإذا ثبت على تجويزه قبح على نفسه وقيل له: فأرنا في موضع وفي حال وأقم شاهدا على أنه كان في وقت (الجرجاني، ١٤١٠: ١١٩-١٢٠).

والنفي الاستفهامي يكون في الغالب مزيجا من عدة معان: التكذيب والتوبيخ والتعجب والتهكم والسخرية والتحقير والتمني وغيرها قد يصحب أحدها أو عدد منها النفي الاستفهامي، أما في الخبر فالنفي نفي ليس غير (البكري، ١٩٨٤: ٣٠٠). إنّ الاستنكار أو النفي الاستفهامي وطيد الصلة بمشاعر المتحدث لا يصدر منه استنكار إلا بعد أن يكون قد بلغ به التفاعل ذروته وذلك كقول الإمام (ع) في ذمّ اختلاف العلماء في الفتيا وذمّ أهل الرأي:

أَفَأَمْرُهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالِاخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ! أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ! أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا نَاقِصًا فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ! أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى؟ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا تَامًا فَقَصَّرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ؟ (خطبة: ١٨).

همزة الاستفهام المفيدة للإنكار مع أم المنقطعة المفيدة للإضراب تدلّ على أنّ اختلافهم ليس مأمورا به فلعدم ورود أمر بذلك في الكتاب والسنة من جهة ولدلالة العقل والنقل على النهي عنه من جهة أخرى. أما العقل فلتقبيح العقلاء من يتكلف من قبل مولاه بما لا يعلم بوروده عن المولى فضلا عما علم بعدم وروده وأما النقل فمن الكتاب الآية (قل الله أذن لكم أم على الله تفترون) حيث دلّت على أن ما ليس بإذن من الله فهو افتراء له ومن المعلوم أنّ الافتراء حرام ومنهي عنه (هاشمي خوئي، ١٣٥٨: ج ٢، ٣٣٩).

ومن أسرار أسلوب النفي عن طريق الاستفهام والعدول عن أسلوب النفي المباشر أنّ الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جوابا يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موضعه، ولما كان المسؤول يجيب بعد تفكير وروية عن هذه الأسئلة بالنفي، كان في توجيه السؤال إليه حملا له على الإقرار بهذا النفي، وهو أفضل من النفي ابتداء (أحمد بدوي، د.ت: ١٦٣).

٣.٥ الأمر

من أساليب الإنشاء الطلبي التي تأتي منها السخرية الأمر ويعرفه البلاغيون بأنه: «طلب فعل على جهة الاستعلاء» (تفتازاني، د.ت: ٣٠٨). قد تستعمل صيغ الأمر في غير طلب الفعل على جهة الاستعلاء، فتفيد معاني كثيرة تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، وأصلها بعض الباحثين إلى خمسة وعشرين معنى ويمكن أن يدخل بعض هذه المعاني في بعض، فتختصر كما فعل الخطيب القزويني، فذكر منها: الإباحة والتهديد والتعجيز والتسخير والإهانة والتسوية والتمني والدعاء والالتماس والاحتقار (الخطيب القزويني، ١٤٢٤: ج ٢، ٣١٢).

إنّ الإهانة تعد من المعاني التي يفيدها الأمر، وهي إظهار ما فيه تصغير المهان وقلة المبالاة به. وحاصله أنّ صيغة الأمر ترد للإهانة إذا استعملت في مقام عدم الاعتداد بشأن

المأمور على أيّ وجه كان، والعلاقة بين الأمر والإهانة واضحة لأنّ طلب الشيء من غير قصد حصوله لعدم القدرة عليه مع كونه من الأحوال الخسيسية يستلزم الإهانة (السيوطي، ١٣٧٤: ج ١، ١٩١).

أساليب الأمر الساخر كثيرة ومتنوعة في نصح البلاغ منها قول الإمام علي (ع) حين يخاطب الخوارج ويخبر عن مستقبل الخوارج: «فَأُوْبُوا شَرَّ مَا بٍ وَارْجِعُوا عَلَيَّ أُنْثِرِ الْأَعْقَابِ» (خطبة: ٥٨).

إنّ صيغة الأمر في النموذج السابق تفيد الإهانة وهذا الكلام موجه إلى الخوارج الذين أوردوا شبهة الحكمية فذمهم الإمام (ع). يعلّق خوئي على هذا الكلام بقوله:

قوله "فَأُوْبُوا شَرَّ مَا بٍ وَارْجِعُوا إِلَى أُنْثِرِ الْأَعْقَابِ" قيل هو أمر لهم بالرجوع والإياب إلى الحق من حيث خرجوا منه فهرا كان القاهر يضرب في وجوههم بردهم على الأعقاب والرجوع هكذا شر الأنواع، وقيل هو دعاء عليهم بالذل وانعكاس الحال قال العلامة المجلسي (ر): ويحتمل أن يكون الأمر على التهديد كقوله تعالى: "قُلْ اْعْمَلُوا فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ عَمَلِكُمْ" (هاشمي خوئي، ١٣٥٨: ج ٦، ٣٥١).

تعود السخرية هنا إلى هذه الجملة التي تلي بعد الأمرين: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي دُلًّا شَامِلًا» فكأنّ هذه السخرية تضعهم أمام عقولهم وتهزها هزة عنيفة لعلها توقظ الخوارج من غفلتهم ليعودوا ويفكروا في هذه الشبهة المضلة.

٦. أساليب السخرية في علم البيان

١.٦ التشبيه

التشبيه لون من ألوان التعبير الممتاز الأنيق، تعتمد إليه النفوس بالفطرة حين تسوقها الدواعي إليه، يستوي في ذلك العرب والعجم والخاصة والعامة، فهو من الصور البيانية التي لا تختص بجنس ولا لغة؛ لأنه من الهبات الإنسانية والخصائص الفطرية والتراث المشاع بين الأنواع البشرية جميعاً، ذلك أنّ أساسه هذه الصفات المشتركة أو المتشابهة، أو المتضادة التي يراها الإنسان في الأشياء ويترتب على ذلك استساغته استعمال الألفاظ بعضها مكان بعض تجوزاً

(الجندي، ١٣٨٦: ج ١، ٤٣). يقول عبدالقاهر الجرجاني في حديثه عن فضيلة التشبيه والتمثيل، موضحا ذلك بأمثلة على عاداته:

واعلم مما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أجرة، وأكسبها منقبة ورفع من أقدارها وشب من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباية وكلفا وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا فإن كان مدحا، كان أبهى وأفخم وأنبل من النفوس وأعظم وأهز للعطف وأسرع للإلف وإن كان ذما، كان مسّه أوجع وميسمه ألدع ووقعه أشد وحدّه أحد (الجرجاني، ١٤١٠: ١١٥).

إنّ القدماء قد أكثروا من توظيف التشبيه في الذمّ فإذا أرادوا ذمّ أحد أو التهمك به اعتمدوا على التشبيه «ولا ينصرف الذهن عند إطلاق هذه التشبيهات إلا إلى تلك المعاني المشتهرة المتعارف عليها، فشبهوا الجبان بالنعام وبالصفرد وهو طائر شديد الخوف والحذر والطائش بالفراش والذليل بالنقد والنعل والفقع والوتد والقاسي بالحديد والصخر والبيد بالحمار والبخيل بالأرض المجدبة واللجوج بالخنفساء والأكول بالفيل» (العسكري، ١٤٠٤: ٢٦٥). يعتمد التصوير الساخر على التخيل والتصوير الدقيقين لالتقاط صورة مشوهة مضحكة للمهجو، تقوم في خطواتها الفنية على المغالطة التركيبية المتخيلة للشخصية المهجوة، أو المظهر الذي يراد انتقاده والسخر منه فالسخرية التصويرية نوع من النقد يعتمد في جملة على التماس العيوب الرئيسية لظاهرة معينة تعرض بأسلوب فني، يبالغ في تصوير العيب أو النقص، ويبرز وجه التناقض على شكل نكتة ترد في ذهن الفنان وهذه المبالغة في تضخيم الصورة وتشويهها لا تتعارض مع الصدق الفني لدى الشاعر لأنّ السخرية التصويرية فن هادف ذو موضوع كبير الأهمية في نفس الشاعر، ولذلك فإنّ الشاعر يعمد إلى هذا الأسلوب المضحك، فالضحك تأديب قبل كلّ شيء وقد يؤلم فهو ليس طيبا في كلّ الأحيان (التميمي، د.ت: ٣٦٠). ولننظر إلى النموذج التالي:

«وَأَيْمُ اللَّهِ لَتَجِدَنَّ بَنِي أُمَّيَّةٍ لَكُمْ أَرْزَابَ سُوءِ بَعْدِي، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ تَعْدُمُ بِفِيهَا، وَتَحْتَطُّ بِيَدِهَا، وَتَرْزِينُ بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا» (خطبة: ٩٣).

نرى في هذه العبارة أنّ الإمام (ع) يحذر أصحابه من الفتنة التي يشب نارها بنو أمية ويضيعون بها فيء المسلمين والتشبيه أحد أساليب البيان العالية. لذلك استعملت في هذا الكلام لتحسيد كيفية حكومة بني أمية، ففي هذا التشبيه الساخر، جاء الدم موجعا يبرز نقائص المهجورين ويصورها واضحة للعيان وإن في التشبيه بالأنعام والبهائم التي هذه حالها، تحقيرا وإهانة لهم وسخرية وتهكما بعقولهم وحكومتهم. يقول بعض شراح نهج البلاغة عن هذه العبارة:

إنّ تشبيههم بالنافة السيئة الخلق المتصفة بالأوصاف الرديئة المذكورة أراد أنّها كما تعض بفيها وتضرب بيدها وتدفع حالها برجلها وتمنع الناس من لبنها فكذلك هولاء في أفعالهم الرديئة وحركاتهم المؤذية من قصد الناس بالقتل والضرب والأذية ومنعهم ما يسحقونه من بيت المال (هاشمي خوئي، ١٣٥٨: ج ٩، ٨٧٦).

وكثيرا ما نرى مروق الكوفيين والبصريين عن طاعة مولاهم وإبائهم عن الحرب والجهاد في سبيل الله. فهذا التشبيه الساخر يصور مروقهم بشكل أمودجي محسوس يعجب المتلقي: «دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَحَرَجَرْتُمْ حَرَجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرَةِ، وَتَنَاقَلْتُمْ تَنَاقُلَ النَّضْوِ الْأَدْبَرِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ» (خطبة: ٣٩).

يقول البحراني في هذا الصدد: «استعارة لفظ الجرجرة لكثرة تمللهم وقوة تضجرهم من ثقل ما يدعوهم إليه، ولما كانت جرجرة الجمال الأسرة أشد من جرجرة غيرها لاحظ شبه ما نسبه إليهم من التضجر بها، وكذلك التشبيه في قوله: "تنأقلت تئاقل النضو الأدبر" وقوله: "ثم خرج إلي منكم جنيد متذائب (مضطرب) ضعيف" إشارة إلى حقارة شأنهم وقلة عددهم وقد ذكرنا أنّهم كانوا نحو من ثلاثمئة أو دونها وقوله: "كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون" إشارة إلى شدة خوفهم وجبنهم واضطرابهم فيما يساقون إليه مثل اضطراب من يساق إلى الموت وخوفه منه هذا» (ابن ميثم، ١٣٦٢: ج ٢، ٣٩١).

٢.٦ الاستعارة

جاء في لسان العرب عن مادة «استعارة»: الاستعارة أي طلب العارية؛ واستعاره الشيء

واستعاره منه: أي طلب منه أن يعيره إياه؛ ويقال: استعرت منه عارية فأعازنيها؛ واستعاره ثوبا فأعاره إياه (ابن منظور، د.ت: مادة «عير»).

و يعرفها الخوري في الاصطلاح بقوله: الاستعارة هي أصلا تشبيه حذف جميع أركانه إلا المشبه أو المشبه به وألحقت به قرينة تدلّ على أن المقصود هو المعنى المستعار لا الحقيقي (الخوري، ١٩٤٥: ٥٥). وهي تنقسم باعتبار الطرفين إلى قسمين، لأن اجتماع هذين الطرفين في شيء إما ممكن فهي وفاقية، أو ممتنع فهي عنادية ومن العنادية ما استعمل في ضد معناه أو نقيضه بتنزيل التضاد أو التناقض منزلة التناسب بواسطة تهكم أو تمليح (الصعيدي، د.ت: ج ٣، ١٢١).

نعود إلى نصح البلاغة لنرى دور الاستعارة الساخرة في تذليل المهجو. كثيرا ما نرى أنّ الإمام (ع) ساق الكلام مساق التهكم والذمّ المقذع، حيث نشعر بأنّه لا هجاء أشدّ من هذه السخرية التي أنزلها الإمام (ع) على فتنة بني أمية في قوله: «أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَمَنْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيَّ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْبُهَا وَاشْتَدَّ كَلْبُهَا» (خطبة: ٩٣).

يعلق خوئي على هذا الكلام بقوله:

(فقأت) عين الفتنة من باب منع قلعته وشققته و(الغيهب) الظلمة و(كلب) هو داء يشبه الجنون يأخذه فيعقر الناس وعبرة (فقأت عين الفتنة) أي شققته وقلعته بشحمها أو أدخلت الإصبع فيها، وهو استعارة لكسر ثورتها وإسكان هيجانها، وإلى شدة تلك الفتن وظلمتها أشار بقوله (بعد أن ماج غيبها) وكنى بتموج ظلمتها عن شمول ظلل لها لأن الظلمة إذا تموجت شملت أماكن كثيرة غير الأماكن التي تشملها لو كانت ساكنة وإلى غلبة شرها وأذاها بقوله (واشتد كلبها) (هاشمي خوئي، ١٣٥٨: ج ٧، ٧١).

نرى في هذه الخطبة أن الإمام (ع) استعار لفظة العين للفتنة ليدلّل بلفظة (فقأتها) على الغلبة عليها وانهازمها ومن جانب آخر، قد استعار لفظة (الكلب) وهو داء يشبه الجنون، للفتنة ليرسم للمتلقى صورة ساخرة. يستمر الإمام (ع) في هذه الخطبة حتى يصل إلى صورة أخرى تحتوي على سخرية لادغة وهي: «وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ، لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، وَلَا يُجْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ» (خطبة: ٩٣).

(و يسقيهم بكاس مصبرة) أي ممزوجة بالصبر أو المراد مملوءة إلى إصبارها (ولا يعطيهم إلا السيف ولا يجلسهم إلا الخوف) استعار لفظ الإحلاس بمشابهة جعلهم الخوف شعارا لهم غير منفك عنهم كالحلس الملازم للبعير الذي يكسي على ظهره ويلاصق جسده. قال الشراح هذه الفقرات إشارة إلى انقراض دولة بني أمية بظهور بني العباس وإن بني العباس أولاهم ذلاً وهواناً وإذا أسقوهم كأس العذاب طعموا مختلفه وأروهم عيان الموت ألوانا شتى كما هو مذكور في كتب السير و التواريخ (هاشمي خوئي، ١٣٥٨: ج ٧، ٩٥).

يجدر بالذكر أنّ الإمام (ع) يريد من وراء هذه الاستعارة أن يقدم تصويراً واضحاً من شدة العذاب الذي يقع على بني أمية فلا يمكن التغاضي عما في هذه العبارة من إبداع ولعل أجمل ما نراه فيها، هو الاقتباس من آية القرآن التي يقول فيها الله تعالى: «فأذاقها الله لباس الخوف والجوع» (نحل: ١١٢).

٣.٦ الكناية

قد عرف عبدالقاهر الكناية بقوله: «المراد بالكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه» (الجرجاني، ١٤١٠: ٦٦). يرى البلاغيون أنّ الأديب لا يعتمد إلى الكناية والتعريض إلا لغرض يقصده والكناية عندهم أبلغ من التصريح كما يقول ابن ناظم:

لا يترك التصريح بالشيء إلى الكناية عنه في بليغ الكلام إلا لتوخى نكتة كالإيضاح، أو بيان حال الموصوف أو مقدار حاله، أو القصد إلى المدح أو الذم، أو الاختصار، أو الصيانة، أو التعمية والإلغاز، أو التعبير عن الصعب بالسهل، أو عن الفاحش بالظاهر أو عن المعنى القبيح باللفظ الحسن (ابن ناظم، د.ت: ١٤٧).

والسخرية بالكناية والتعريض أوقع في نفس المهجو من السخرية الصريحة لأنّ في الإظهار تحديداً للمراد وقصراً للغاية وفي الإطلاق اتساعاً للخيال وسعة في التحليق والظن (عجلان، ١٩٨٥: ١٩٩). قد يستخدم المتكلم لغة الكناية والتعريض ليسلم من عقبي هجائه وسخريته وبخاصة إذا كان المهجو من ذوي السلطان. من فوائد الكناية وأغراضها

الاحتراز عن التعابير الفاحشة والكلمات النابية بالكنايات اللطيفة وإبدال ما يعف اللسان من ذكره وتمجحه الأسماع إلى ما لا تنبو عنه الطباع. والأديب الساخر يسعى أن يلتمس أفضل السبل وأشدها إيلاما وأبعدها عن البذاءة والسلطة فيعرض ويكفي ولا يصرح في كثير من الأحيان؛ وذلك لأن التعريض يكون أشد وقعا وإيلاما وأكثر ذبوعا وانتشارا.

وليجد الساخر رواجاً لقوله ينبغي عليه أن يتعد عن الألفاظ التي يظهر فيها الفحش فيكفي عنها ولذلك يستحب في الهجاء أن لا يكون ظاهره فحشا يتحاماه ذوو الدين والمروءة ولا يقبح إيراده في المحافل ولا يخشى غائلة الهجو به (الحليبي، د.ت: ٣١٠).

من المواضيع التي يعتمد فيها الإمام علي (ع) على هذا الأسلوب هو حديثه عن هجوم الناس للبيعة بعد مقتل عثمان وقد كان الإمام راغبا عن قبول الحكومة بعد ما شاهده من غدر الناس في واقعة الغدير ولكنهم فعلوا ما فعلوا. أما الناس فقد أقبلوا على الإمام (ع) بعد مقتل الخليفة الثالث ومدوا أيديهم إليه للبيعة فرد عليهم الإمام (ع) بهذا الأسلوب الكنائسي الساخر: «لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ ... لِأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوْلَهَا» (خطبة: ٣).

و قولهم قد ألقى فلانٌ جبل فلان على غاربه أي تركه هملا يسرح حيث يشاء من غير وازع ولا مانع والفقهاء يذكرون هذه اللفظة في كنايات الطلاق (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ج ١، ٣٠٢). «لألقيت جبلها» أي لألقيت زمام الخلافة وشبه الخلافة في «على غارها» بالناقاة التي يتركها راعيها لترعى حيث تشاء ولا تبالي من يأخذها وما يصيبها وفي ذكر الغارب وهو ما بين السنام والعنق تخييل وفي إلقاء الحبل ترشيح و«لسقيت آخرها بكأس أولها» أي تركتها آخرا كما تركتها أولا وخليت الناس يشربون من كأس الحيرة والجهالة بعد عثمان ويعمهمون في سكرتهم كما شربوا في زمن الثلاثة (هاشمي خوئي، ١٣٥٨: ج ٢، ٢٧٩).

٧. السخرية في أساليب علم البديع

١.٧ المبالغة

المبالغة من الفنون البديعية التي اختلف النقاد والبلاغيون فيها فمنهم من يؤثرها ويقول

بتفضيلها ويراها الغاية القصوى في الجودة، ومنهم من يعيبها وينكرها ويرأها عيبا وهجنة في الكلام (القيرواني، ١٤٠٨: ج ١، ٦٥٠). والمبالغة هي أن يدعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا، لئلا يظن أنه غير متناه في الشدة أو الضعف وأنواعها ثلاثة: ١. التبليغ، وهو إفراط وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة، ٢. الإغراق، وهو وصف الشيء الممكن البعيد وقوعه عادة، ٣. الغلو، وهو وصف الشيء بما يستحيل وقوعه.

«تجئ المبالغة بأساليب وطرق كثيرة، منها: صيغ المبالغة القياسية المعروفة: فعّال، ومفعّال، وفعلول، وفعليل وفعل. ومنها الصور البيانية من تشبيه ومجاز وكناية ومن أساليبها في علم البديع، حسن التعليل وتجاهل العارف وتأكيد المدح بما يشبه الذم» (القرشي، ١٤٠٦: ٢٦٣). غلو الأديب في السخرية وسيلة يتوسل بها للتعبير عن الأفكار التي تكاملت في ذهنه، فالأسلوب الساخر يراد به كل نتاج يعمد إلى كتابة موضوع جدي بمنوال ساخر وذلك بالمبالغة، والغلو في العرض ولا يراد السخر أو التهكم لذاته وإنما كان وما يزال طريقا فنية معبرة يستخدمها الشاعر للإعلان عما تضخم في نفسه من أفكار وخواطر (التميمي، د.ت: ٣٦١).

أما المبالغة الساخرة إذا كانت أشد غلوا فهي أشدّ إيلا ما وتشبه الفحش ولاسيما عند سلب المهجو من الفضائل والمكارم التي يمدح بها الممدوح كالشجاعة والكرم ومرّد ذلك إلى المهجو المكتن فيه والسخرية نمط من الهجاء إلا أنها هجاء ضاحك يكون مقبولا ما ابتعد عن الغلو الذي ليست له حدود ولا يكون همّ الأديب أو الخطيب فيه إلا أن يوقع بمهجوه كلّ رذيلة ويلصق به كل نقيصة كما نرى في هذا النموذج الذي يصف فيه الإمام (ع) مهجويه بالجن: «لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرَفَ الدِّينَارِ بِالدَّرْهِمِ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشْرَةَ مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ» (خطبة: ٩٧).

يحاول الإمام (ع) هنا أن يسلب القيم الكريمة من مهجويه ويضفي عليهم صفة الجن والخوف من الجهاد والدفاع عن الحق ويصدر هذا الهجاء والسخرية عن سخط الإمام (ع) عليهم وهذا السخط يدفعه إلى المبالغة في وصف مهجويه ومدح أعداء مهجويهم ليثير حميتهم للدفاع عن دينهم وإمامهم وتبلغ هذه السخرية ذروتها حين يقول: «فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلا منهم».

٢.٧ التضمين

يعد التضمين من الصور البلاغية التي يلجأ إليها الشعراء في أشعارهم، فمنهم من يضمن قصيدته بيتا من أبيات شاعر أو يرغب في الإفادة من التركيب بعينه من خلال عبارة ينقلها من كلام الأدباء ليؤكد بها ما جاء من فكرة طريفة.

والتضمين فن بديع يصلح أن يكون أسلوبا جميلا من أساليب السخرية حيث يوظف الساحر الموهوب تلك النصوص التي يقتبسها أو يضمنها في السخرية من خصومه ويستعين بما لهذه النصوص المضمنة من شهرة ووقع وأثر في النفوس فيستغله حتى تبدو سخريته قوية ومؤثرة (الغزالي، ١٤١٤: ٣٢٤).

نجد في خطب نصح/البلاغة عددا غير قليل من الأشعار التي تحمل في طياتها الحزن والأسى وما هي إلا زفرات تبعث عن نفس حزينة جرحت مشاعرها بسبب تخاذل أصحابه عن الجهاد وطاعة زعيمهم. نقف هنا عند إحدى الخطب التي ألقاها الإمام (ع) لما تواترت عليه الأخبار بزحف جيش معاوية على الحدود الإسلامية فقام الإمام (ع) على المنبر متضجرا من أصحابه الناكثين:

«مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ، أَقْبَضُهَا وَأَبْسُطُهَا إِنَّ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ، تَهْبُ أَعَاصِيرُ كَمَلَا، فَقَبَّحَاكَ اللَّهُ» ثم تمثل بهذا البيت:

لَعَمْرُؤِ أَيْبِكَ الْحَتِيرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي عَلَى وَضْرٍ مِنْ ذَا الْأَنْاءِ قَلِيلِ

(خطبة: ٢٥)

نجد هنا التشابه بين الكلامين المشهور والمنظوم، لأن الإمام (ع) يتحسر ويتضجر لهزيمة جيشه في الجهاد مع معاوية وما بقي بلد له إلا الكوفة التي تعد مدينة عسكرية ومن جهة أخرى يشير هذا البيت إلى أن ما في الإناء قد نفذ شيئا فشيئا فهذا التشبيه يلائم الحالة التي أصيب بها الإمام (ع) ومن هذا المنظور يشبه السخرية لمدينة الكوفة كما يقول خوئي في تعليقه على هذا الكلام:

إن تشبيه الكوفة بالوضر الباقي في الإناء في حقارتها بالنسبة إلى ما استولى عليها خصمه من الدنيا كحقارة الوضر بالنسبة إلى ما يشتمل عليه الإناء من الطعام، فاستعار لفظ الإناء للدنيا ولفظ الوضر القليل للكوفة يعني أني على بقية من هذا الأمر كالوضر القليل في الإناء (هاشمي خوئي، ١٣٥٨: ج ٥، ٣٧١).

وفي موضع آخر يذكر الإمام (ع) أسباب هزيمة الكوفيين بقوله: فَأَبَيْتُمْ عَلَى إِبَاءِ الْمُخَالَفِينَ الْجَفَاءَ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعَصَاةَ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ، وَصَنَّ الرَّئِدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ:

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْعَدِ

(خطبة: ٣٥)

هذا البيت لدريد بن صمّة وكان له أخ اسمه عبدالله فغزا أخوه طائفة بني جشم وبني نصر في قبيلة منعرج اللوى فغنم منهم واستاق إبلهم و قال: لا والله لا أريح حتى أنحر النقيعة وهي ما ينحر من النهب قبل القسمة، فقال له أخوه وريد: لا تفعل فإنّ القوم يطلبك فأبى ونحر النقيعة وبات، فلما أصبح هجم القوم عليهم وطعن عبدالله بن الصمة فاستغاث بأخيه وريد فنهاه عنه القوم حتى طعن هو أيضا وصرع وقتل عبدالله وحال الليل بين القوم فنجا وريد بعد طعنات وجراح حصل له فقال القصيدة هذه في رثاء أخيه (ذيل خطبة: ٣٥) شبه الإمام هنا حاله بحال ابن هوازن في الخسران الذي لحقه بسبب تمرد أصحابه عليه. فهذا التضمين وإن أثار التحسر والأسى بسبب ما فيه من المعاني المحزنة لكن فيه انتباها ساخرا يشوبه ضحك لاذع.

٨. النتيجة

أهمّ النتائج التي تمّ التوصل إليها من خلال الدراسة هي:

١. نستطيع القول إنّ الإمام علي (ع) وظف السخرية في كثير من الأحيان كتقنية لإنتباه الذين خاضوا في لجة الغفلة وكانوا على شفا هاوية الضلالة ولاسيما الخوارج الذين أثاروا شبهة الحكيمية. وأضفت أساليب السخرية على خطب نهج البلاغة صبغة تثير المشاعر ووقعا يحث العقول ويستنهض الهمم إلا أنّ الإمام (ع) لم يكتف بأسلوب واحد وإنما استخدم الوجوه البلاغية المختلفة ليكون لغته الساخرة أثر بالغ في نفوس السامعين والمخاطبين.

٢. قد استخدم الإمام (ع) السخرية كسلاح لإصلاح أصحابه الغافلين ودعوتهم إلى الجهاد والدفاع عن الحياض الإسلامية والوقوف في وجه الخارجين على الإسلام وقيمه وتعاليمه، فعلى هذا الأساس يتّسم فنّ السخرية في خطب نهج البلاغة بالسهولة والحوية

والمرونة، ليكون قريبا من أفهام الناس يتناولونه ويحفظونه ويتأثرون به، ومما يرفع من قيمة هذا الفن ترفعه عن السخف والبذاءة والمجون والفحش، وهنا تكمن قوته ودرجة تأثيره.

٣. تناولنا في هذا البحث أساليب السخرية و استعرضنا هذه الأساليب في ثلاثة أقسام رئيسة هي المعاني والبيان والبديع. في قسم المعاني رأينا أن الإمام (ع) يعرف المسند إليه بالعلمية والموصول والإشارة والإضافة ورأينا أن السخرية بادية في كل منها، ففي التعريف بالعلمية يشير الإمام (ع) إلى المعنى اللغوي المكتن في العلم كما أشرنا إلى كيفية الإتيان بالاسم الذي يلمح إلى معنى الذم والسخرية. وفي كل من التعريف بالإضافة أو الإشارة أو الموصول يلحق بالمضاف أو المضاف إليه والمشار إليه والموصول صفات النقص والبلادة والغبوة.

٤. أما في قسم علم البيان فقد رأينا أن التشابيه والاستعارات والكنيات تعد من أهم الأساليب التي اعتمد عليها الإمام (ع) في لغته الساخرة. ورأينا في قبض من قبض التشابيه الساخرة التي أوردناها في هذا المقال أنّ بني أمية قد شُبِّهوا بالناقة الضروس التي تتخبط خبط عشواء وهذا التشبيه الساخر يدل على التصوير المحسوس الذي يستخدمه الإمام (ع) لتقرير الصور المجردة بشكل بسيط ساخر يتبعه الضحك المر. كما رأينا في الاستعارات والكنيات التي اتسمت بصورها الحسية البدوية وهذا الأمر يدل على براعة الإمام (ع) في تقديم الصور الحسية الساخرة فتكون له ملكة وقوة متفوقة في تصوير نقائص مهجويه وذائلهم ولاسيما في الصورة التي يرسمها في وصف المشغوفين بالدنيا الدنية وزخارفها والمتسابقين على امتلاكها.

٥. أما في قسم البديع، فقد اجتمعت عدة أساليب للسخرية منها أسلوب المبالغة التي تتراءى لنا حين يتمنى الإمام (ع) أن يستبدل عشرة رجال من أصحابه برجل واحد من أنصار معاوية. إنّ السمة الظاهرة في هذه المبالغات خلوها من البذاءة والمجر. والتضمين لشعر الشعراء الأقدمين أسلوب آخر دخل في الخطب التي يرمي من وراءها الإمام (ع) إلى السخرية ومفاجأة القارئ حين يواجه هذا التناسب في تضمين أشعار الشعراء.

٦. إذا أمعنا النظر في خطب نصح البلاغة خلصنا إلى أن التشابيه الساخرة وأنواع الاستفهام الساخر تحتل مساحة كبرى بالنسبة إلى الأساليب الأخرى وهذا خير دليل على أنّ الإمام علي (ع) رأى أنّ للتشبيه والاستفهام تأثيرا يربي على الأساليب الأخرى في حث المخاطبين على الخضوع للحق والصدود عن الباطل.

المصادر

القرآن الكريم.

- ألوسي، سيد محمود شكري (١٤٠٥ ق). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ابن أبي الحديد، أبوحامد (١٣٣٧ ش). شرح نوح البلاغة، قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (د.ت). لسان العرب، بيروت: دار صادر.
- ابن ميثم بجراني، ميثم بن علي (١٣٦٢ ش). شرح نوح البلاغة، قم: مكتبة نشر الكتاب.
- ابن ناظم، بدرالدين بن مالك (د.ت). المصباح في المعاني والبيان والبديع، الجماميز: مكتبة الآداب و الطبع.
- أحمد بدوي، أحمد (د.ت). من بلاغة القرآن، القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر.
- البكري، أحمد ماهر (١٩٨٤ م). أساليب النفي في القرآن الكريم، القاهرة: دار المعارف.
- تفتازاني، سعدالدين (د.ت). مختصر السعد على تلخيص المفتاح، بيروت: دار الكتب العلمية.
- التميمي، قحطان رشيد (د.ت). اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، بيروت: دار المسيرة.
- الجاحظ، أبوعثمان عمرو بن بحر (١٤٠٥ ق). البيان والتبيين، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الجرجاني، عبدالقاهر (١٤١٠ ق). دلائل الإعجاز، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الجندي، علي (١٣٨٦ ق). فن التشبيه، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- الحلي، احمد بن اسماعيل بن الأثير (د.ت). تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة، الإسكندرية: منشأة المعارف.
- الخطيب القزويني، محمد بن عبدالرحمان (١٤٢٤ ق). الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، بيروت: دار الكتب العلمية.
- خوري، رئيس (١٩٤٥ ق). الدراسة الأدبية، بيروت: دار العلم للملايين.
- الدسوقي، محمد بن عرفه (د.ت). حاشية الدسوقي على مختصر السعد شرح تلخيص المفتاح، بيروت: دار الكتب العلمية.
- دشتي، محمد (١٣٧٩ ش). ترجمة نوح البلاغة، قم: مشرقين.
- الزركشي، بدرالدين محمد بن عبدالله (د.ت). البرهان في علوم القرآن، بيروت: دار المعرفة.
- الزخشري، جارالله (د.ت). تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجود التأويل، بيروت: دار المعرفة.
- السكاكي، أبو يعقوب محمد بن علي (١٤٠٣ ق). مفتاح العلوم، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٢٠ تجليات السخرية وأساليبها في نهج البلاغة (الخطب المائة الأولى أنموذجا)

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (١٣٧٤ ق). *عقود الجمان في المعاني والبيان*، القاهرة: مصرف مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (١٤٠٧ ق). *الإتقان في علوم القرآن*، دمشق: دار ابن كثير. الصعيدي، عبد المتعال (د.ت). *بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة*، الجماميز: مكتبة الأداب والطبع.

الضمور، نزار عبدالله خليل (٢٠٠٥ م). «السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري»، رسالة مقدمة للحصول على درجة دكتوراه، جامعة مؤتة. طه، نعمان محمد امين (١٩٧٨ م). *السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري*، القاهرة: دار التوفيقية.

عبدالباقي، محمد فؤاد (١٩٨٧ م). *المعجم المنهرس لألفاظ القرآن الكريم*، بيروت: دارالفكر. عبدالحافظ، صلاح (١٩٨٩ م). *السخرية وباديات التحول في الشعر العباسي عند بشار بن برد وأبي نواس*، دراسة نقدية نصية، بيروت: مطابع جريدة السفير.

عبدالحמיד، شاهر (٢٠٠٣ م). *الفكاهة والضحك؛ رؤية جديدة*، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

عجلان، عباس بيومي (١٩٨٥ م). *الهجاء الجاهلي صور وأساليبه الفنية*، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله (١٤٠٤ ق). *الصناعتين في الكتابة والشعر*، بيروت: دار الكتب العلمية.

العلوي اليمني، يحيى بن حمزة (١٤٠٢ ق). *الطرارز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز*، بيروت: دارالكتب العلمية.

غرة، محمد هيثم (٢٠١٤ م). *البلاغة من منابعها (علم المعاني)*، سوريا: دار البشائر.

الغزالي، شعيب بن أحمد (١٤١٤ ق). «أساليب السخرية في البلاغة العربية»، رسالة علمية في البلاغة والنقد، المملكة السعودية العربية، جامعة أم القرى.

الفيروزآبادي، مجدالدين محمد بن يعقوب (١٤٠٧ ق). *القاموس المحيط*، بيروت: دار الرسالة.

القرشي، عالي سرحان (١٤٠٦ ق). *المبالغة في البلاغة العربية؛ تاريخها وصورها*، الطائف: النادي الأدبي.

القبرواني، الحسن بن رشيق (١٤٠٨ ق). *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*، بيروت: دار المعرفة.

محمد حسين، عبد الحليم (١٩٧٧ م). *السخرية في أدب الجاحظ*، الجماهيرية العربية الليبية: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.

مصطفى، إبراهيم، أحمد حسن الزيات، حامد عبدالقادر، ومحمد علي النجار (١٩٧٢ م). *المعجم الوسيط*، استانبول: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر.

سیدمهدی مسبوق و رسول فتحي مظفري ١٢١

المعاملي، شوقي محمد (١٩٨٧ م). *الاتجاه السّاحر في أدب الشّدياق*، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
هاشمي حوئي، حبيب الله (١٣٥٨ ش). *منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة*، تصحيح سيد ابراهيم ميانجي،
طهران: المكتبة الإسلامية.

المهوال، حامد عبده (١٩٨٢ م). *السخرية في أدب المازني*، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

